كان دعاء النبي صلى الله عليه وسلم " اللهم اجعل لي في قلبي نورًا وفي سمعي نورًا وفي بصري نورًا وفي لحمي نورًا وفي عظمي نورًا وفي شعري نورًا وعن يميني نورًا وعن شمالي نورًا .... ومن بين يدي ومن خلفي .. " . (حديث متفق عليه من حديث ابن عباس)

وجهان لمقصد واحد

حامد المهيري

العلم والإيمان في المنظور الإسلامي وجهان لمقصد واحد، كلما غصنا في أغوار النفس البشرية وما جمع الكون من مشاهد مدهشة وما كشف الزمن من علوم جديدة إلا وازددنا إيمانا على إيماننا عندما ندرك أنّ هذا كله من عند الله خلقا وإبداعا واتقانا وإحكاما وصيرورة وإمساكا بالمصائر والمقدّرات. وعندما نتعمّق في آيات التنزيل وكيف أنّ مرور الزمن كفيل بتأويل ما لم يحط به الأولون علما فكذّبوا به، والمرء كما قيل عدوّ ما يجهل.

إن المؤمن الحقّ يجد نفسه دائما قبالة كتابين كبيرين: كتاب الكون المنظور وكتاب الله المسطور، وهو في الحالتين يتعامل مع مقدرات الخلق الإلهي في حشود من المعطيات لا نفاد لها. فيوما بعد يوم يتكشّف كتاب الكون الكبير بقوّة العلم عن جملة من الحقائق المذهلة في تركيبه ومساره، ويوما بعد يوم يتكشف كتاب الله المعجز عن عجائب لا تنقضي كما وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وفي كلا الحالتين يكون الجهد العلمي طائعا مختارا لكي يوظّف نفسه لحقائق الإيمان فيدعمها ويجليها ويزيدها تكشّفا وألقا. إذا كانت الخصومة بين الدين والعلم عند غيرنا فرّقت بينهما فإنّ الإسلام ليست له خصومة مع العلم فقد أخذ الدين بيد العلم وأخذ العلم بيد الدين ومضيا قدما إلى الأمام لكي يصنعا حركة علمية لا نظير لها وأعانا على قيام حضارة لم يكن ثمّ قبلها أو بعدها أكثر منها استجابة لأشواق الإنسان وتوافقا مع مطالبه.

يقول الباحث الانجليزي روم لاندو : في الإسلام لم يولَ علم من الدين والعلم ظهره للآخر ويتخذ طريقا معاكسة، لا، والواقع أن الأول كان باعثا من البواعث الرئيسية للثاني..العلم الإسلامي لم ينفصل عن الدين قط والواقع أن الدين كان هو ملهمه وقوته الدافعة الرئيسية. ففي الإسلام ظهرت الفلسفة والعلم معا إلى الوجود لا ليحلاّ محلّ ألوهية الدين ولكن لتفسيرها عقليا لإقامة الدليل عليها وتمجيدها. إنّ المسلمين وفّقوا طوال خمسة قرون كاملة إلى القيام بخطوات حاسمة في مختلف العلوم من غير أن يدبروا ظهورهم للدين وحقائقه وأنهم وجدوا في ذلك الإنصهار عامل تسريع وانجاح لا عامل تعويق وإحباط.

لقد تعدّدت البحوث والدراسات في هذا المجال وكلها وصلت إلى العلاقة الاتحادية بين الدين والعلم وقد اكتشف عدد من العلماء أثناء غوصهم في المجال المعرفي جملة من الأسرار القرآنية المدهشة بخصوص الإعجاز العلمي لكتاب الله. القرآن كتاب إيمان وهداية له مناهج تربوية لإقامة المجتمع الفاضل الذي تسوده أخلاق وأحكام هذا السفر العظيم قال الله تعالى ونزّلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين "النحل آية ٨٩".

فحسب النتائج التي توصّل إليها الباحثون أولا أنّ مجموع الآيات القرآنية التي فيها إشارات علمية هو حوالي "١٢٠٠" آية أي بنسبة "٢٠٪" تقريبا من المجموع الكلّي لعدد آيات القرآن الكريم والبالغ "٦٢٣٦" آية

ثانيا: هناك حوالي "٧٠" آية تحثّ على العلم وتشجّع البحث العلمي وتثني على العلماء علما بأن الآيات الخمس الأولى التي نزلت على الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم كانت تأمره بالقراءة والتعلّم "سورة العلق آيات ٥-١".

ثالثا: تم توزيع الآيات القرآنية الكريمة المدروسة حسب الموضوعات العلمية: العلوم الطبية "٤١٦" آية، الفيزياء "١٣٨" آية، الأحياء "١٣٠" آية، الفلك والكون "١٠٥" آيات، الجغرافية "٩٨" آية، الزراعة "٨٩" آية، الرياضيات والإحصاء "٧٩" آية، علم طبقات الأرض "٦٩" آية، علوم البحار والأنهار "٣٥" آية، وسائل النقل "٢٨" آية، أصل الانسان وبقية المخلوقات "٢٧" آية، الهندسة "١٢" آية، الكيمياء "١٢" آية، لغة الحيوانات "٨" آيات.وهناك أكثر من عشرين آية تنطبق على جميع العلوم المذكورة كما أنّ هناك حوالي "١٧٠" آية قد تكرّر ذكرها في موضوعات علمية عديدة لاحتوائها على أكثر من اشارة علمية "علمين أو أكثر" مثل الآية "إن في خلق السماوات والأرض..."، "البقرة آية ١٦٣" والآية "٥" من سورة الحج.

رابعا: حسب ما توصّل اليه بحث الباحثين أن الحكمة من ذلك هي المقاصد التالية على ما يبدو:

"أ" تعزيز أركان الإيمان وخاصة الإيمان بالله وباليوم الآخر: حيث وجد ان هناك علاقة وثيقة بين الإشارات العلمية وأركان الإيمان الستة "بنسبة حوالي ٩٢٪" في الآيات المذكورة أعلاه وكما يلي: الإيمان بالله "٧٤٠" آية، الإيمان باليوم الآخر "١٢٠" آية، الإيمان بالملائكة "٢٤" آية، الإيمان بالكتب السماوية "٥٣" آية، الإيمان بالرسل والأنبياء "١٠٠" آية، الإيمان بالقدر "٣٠" آية .

"ب" الإعجاز العلمي: إظهار البرهان العلمي في القرآن لكونه الكتاب الرباني الذي يمثّل المعجزة الدائمة والمتجدّدة للرسول محمد صلى الله عليه وسلم "ج" السبق العلمي: تشجيع وتحفيز العقول والأذهان للتفكر والنظر في الكون وصولا إلى السبق العلمي

"د" إظهار عظمة الخالق عزّ وجل: ودقيق صنعه في مخلوقاته.

"هـ" بيان نعم الباري عزّ وجل: وفضله وآلائه الكثيرة التي لا تحصى على عباده. وقد توصّل الباحثون إلى التوافق الشديد بين العلوم التجريبية والمعاني الإيمانية ليكون منهجا للدراسات التربوية والعلمية المعاصرة. وصولا الى السبق العلمي وسعادة البشرية وهو خير منهج يثبت التضامن في مدلوله الواسع لرفع الفقر المادي عن الجسم وتغذيته الغذاء الطيب ولرفع الفقر الروحي عن العقل وتغذيته بالعلم الصحيح، من الآيات ما تشير بوضوح إشارات علمية كقوله تعالى "وجعلنا من الماء كل شيء حيّ أفلا يؤمنون "الأنبياء آية ٣٠ فالماء أساس الحياة لكل الكائنات الحية "حيوانا أو نباتا أو أحياء مجهرية دقيقة" ولكن يتفاوت في نسبة وجوده ومنها ما تشير بشكل غير مباشر لمجرد التلميح كقوله تعالى إنّ الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدّلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب إنّ الله كان عزيزا حكيما "النساء آية ٥٥" في هذه الآية إشارة طبية غير مباشرة تلمحية لمركز الإحساس بالألم والحرارة لكونها متركزة في الجلد حيث تكثر فيه مستقبلات الألم وتقلّ كثيرا في الطبقات تحت الجلدية كالألياف والعضلات كما أثبت ذلك علم وظائف الأعضاء. فإنّ تبديل الجلد في جهنّم بعد تلفه واحتراقه يؤدّي الى إعادة مراكز الألم والإحساس فيه فيتجدّد ويضاعف العذاب وكما هو معروف طبيّا في حالة الحروق العميقة التي يفقد فيها الجلد كليا فإنّ المريض لا يشعر بالألم بخلاف حالة الحروق السطحية التي تكون مؤلمة جدّا لانعدام المراكز الحسية في الحالة الأولى ووجودها في الثانية والتوسّع في هذا الموضوع يطول فتلك هي اشارات فقط لإثبات العلاقة المتينة بين الدين والعلم فالإسلام والعلم وجهان لمقصد واحد.

العلم في زمن العولمة

ماهر سقا أميني

تؤسس العولمة المعاصرة لعالم جديد لا يهتم كثيرا بـ (الحقائق(أو (الفضائل) بقدر اهتمامه بـ (المنافع) و(اللذائذ) ومما لا يحتاج الى بيان بعد ذلك ان هذا ينعكس وسينعكس على طبيعة العلم وأسئلته وجهوده ومواضع بحثه، حيث لن ينتظر من العلم في أجواء كهذه ان يكون في خدمة الانسان (مطلق الانسان) بقد اهتمامه بتحقيق النصرة والغلبة للفئة القليلة الباغية.

القرآن العظيم يعلمنا النظر في الآفاق للوصول الى السنن والقوانين العلمية والتاريخية وهو أمر يكثر الإلحاح عليه في أكثر من موضع، كما انه يعلمنا أن هذه السنن والقوانين تمكّن الانسان من تسخير الطبيعة وظواهرها لخدمة الانسان أي انسان وتحت المظلة الاخلاقية الشرعية.

لذلك نجد أن العلوم التي ازدهرت في العصور الاسلامية الذهبية بشقيها الديني والدنيوي كانت علوما تخدم الانسان وتسعى الى تحقيق أهدافه ومصالحه الفردية والاجتماعية باعتبار أن (العلم) هو جهد بشري مطلوب ومفروض على المسلمين فرضا كفائيا إن لم يكن فرضا عينيا في شرائح منه وهو مطلوب ومفروض لتحقيق المصالح العامة والفردية للمسلمين والناس على وجه العموم.

أما العلم المعاصر ابن الحداثة والعولمة فهو علم تختلف أسئلته لاختلاف أغراضه وأهدافه، فهو علم متحرر من الاعتبارات الاخلاقية والانسانية، وهو علم يشطح ويرمح دون ضوابط أو حدود، فلم يعد هاجس العلم أن يصل الى سنن الطبيعة والنفس والبشرية ليصار الى تسخيرها في خدمة الانسان، ولم تعد اسئلته من النوع الذي يجدي في الوصول الى (الحقائق) المفكنة أو (الاجراءات) النافعة، بل لعلنا لا نبالغ إن قلنا أن المطلوب اليوم هو السيطرة على العلم نفسه الذي صار عصيا على أي محاولة ضبط أو تسخير، فقد تمرد العلم وخرج من قمقمه وصارت له حوافزه ومحركاته الخارجة عن طبف قدرة الانسان على التسخير، وها هي ثورات التكنولوجيا والاتصالات تتتابع تترك للانسان لحظة يلتقط فيها أنفاسه أو يفكر فيها بمنافع ما يصل اليه، فالى أين تقودنا هذه العلوم والتقنيات؟

التضاعف المعرفي صار أكبر وأسرع من احاطه أي إنسان أو مؤسسة علمية، وهو تضاعف ينتج عنه الطيب والخبيث بل لعل خبيثه يرجح على طيبه، وثورة الاتصالات فتحت الابواب أمام جهنم الاباحية والامراض الاخلاقية والاجتماعية، والتضاعف المعرفي وثورة الاتصالات أسسا لنمط استهلاكي من الحياة يلتقط الدريهمات من جيوب الأفراد ليصبها في ارصدة الشركات العملاقة، وتحققت نبوءة ماركس التي تنص على أن الفكر والاخلاق يتبعان تطور المادة والآلة، فقد استطاع العلم الجامع أن يجر وراءه افكارا مريضة واخلاقا غثة خفيفة وانماطا من الحياة تقوم على الرذائل والهدر والاستهلاك البشع والجشع.

لا يحتاج الأمر الى كثير تعقيد، فما كان منذ سنوات قليلة خادشا للحياء العام ويخضع لمقص الرقيب في وسائل الأعلام صار من قبيل المباح واللطيف والمستعذب في ايامنا هذه، وصار المراهقون من أبنائنا يطالعون هذه الجرائم الاخلاقية أمامنا في ظل التسليم الضعيف منا ولامبالاتنا بزلزلة أرض الاخلاق تحت اقدامهم.

هل استطاعت المؤسسات أو الهيئات العلمية أو القانونية أو الدينية أو الدولية ان توقف الاندفاع المجنون نحو تصنيع السلاح المدمر والقاتل بأبشع الوسائل والاساليب؟ وهل يمكن ان يوجد اليوم بيننا مثيل نوبل الذي ندم على اختراعه للديناميت فاقام جائزته لعلها تكفر عن خطاياه؟

ان من يعملون في اختراع وتصنيع الاسلحة اليوم لا نظنهم إلا وهم يتفكهون بسيرة نوبل ويتندرون بصحوته الاخلاقية كنوع من الجنون.

واذا كان القرن الحادي والعشرون هو قرن البيولوجيا وعلوم الوراثة والجينات، فهل نعلم ان المول الرئيسي لبحوث الجينوم البشري هو وزارة الدفاع الامريكية وفي فهمكم كفاية ومَنْ مِنْ رجال القانون أو الدين او الاخلاق قادر اليوم على السيطرة على بحوث كالاستنساخ بكل متعلقاته الدينية والانسانية والاخلاقية؟

إن هذا حسب بيير لوجاندر صار يشكك في مصداقية الافكار الغربية عن الحقوق وعلاقتها بالاخلاق أو بـ (ما يجوز وما لا يجوز).

الإسلام دين الوسطية والاعـ

تحقيق/ وليد محمد
يقول الدكتور/ عبدالعزيز بن عثمان التويجري
المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة
- إيسيسكو - في موضوع العدل والوسطية في الإسلام:

في اللغة الوسط للشيء : ما بين طرفيْه. وجُعِلَ الوسط وصفاً للمتصف بالفضائل، فصار معناه الخيِّر الفاضل. ومن شأن هذا أن يكون عدلاً في قضائه وشهادته، يقال رجل وسط وأمة وسط، والأوسط يأتي في معنى الأقرب إلى الاعتدال والقصد، والأبعد عن الغلوّ في الجودة والرداءة ونحوهما.

والوسط : في الأصل هو اسم للمكان الذي يستوي إليه المساحة من الجوانب في المدور، ومن الطرفين في المطول، كمركز الدائرة، ولسان الميزان من العمود، ثم استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفيْ إفراط وتفريط : {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً } البقرة، الآية ١٤٣: يعني متباعدين عن طرفي الإفراط في كل الأمور والتفريط، ثم أطلق على المتصف بها مستوياً فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كسائر الأسماء التي وصف بها.

وفي القاموس، الوسط : كل موضع صلح فيه (بين) فهو بالتسكين، وإلاّ فهو بالتحريك، ولا يقع إلا ظرفاً.

وتقوم وسطية الإسلام على قواعد من القرآن والحديث النبوي. يقول الله تعالى في محكم التنزيل : {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً }، والمعنى في هذا السياق القرآني ينصرف إلى أمور ثلاثة :

أولها : الأمة الوسط.

ثانيها : الدين الوسط.

ثالثها : الرسالة الوسط.

فالأمة الوسط التي تدين بالدين الوسط هي ذات رسالة وسطية، تحمل مبادئ الإيمان والحرية والمساواة والتكافل والتضامن بين جميع البشر، وتنشر قيم الخير والفضيلة ، وتدعو الناس كافة إلى سواء السبيل، وتسلك بهم الطرق المستقيمة التي توصلهم إلى الأمن والأمان، والسلام والاطمئنان، وإلى سكينة القلب وراحة الوجدان. والأمة الوسط شاهدة على الناس الشهادة التي تؤكد التكليفَ الإلهي، يقول المولى تعالى في تتمة الآية الثالثة والأربعين بعد المائة من سورة البقرة، موجهاً الخطاب القرآني إلى المؤمنين : (لتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً) البقرة، الآية ١٤٤، والشهادة بالحق هي أعلى الدرجات في سلم المسؤولية التي تتحملها الأمة الإسلامية وتنهض بأعبائها وتقوم بواجباتها.

لقد اختار الله الأمة الإسلامية لتكون شاهدة على العالمين، لأنها أمة الوسط، لا تميل إلى التفريط ولا إلى الإفراط، ولأن خيرية الأمة من وسطيتها. يقول تعالى في كتابه العزيز : }كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ للنَّاسِ {آل عمران ، الآية ١١٠ فالخيرية في هذا السياق هي الوسطية ، والله سبحانه وتعالى وصف أمة الإسلام بالصفتين معاً، كما وصفها بصفات أخرى في آيات كثيرة.

ولما جعل الله هذه الأمة وسطاً، خصها بأكمل الشرائع وأقوم المناهج وأوضح المذاهب، كما قال تعالى : }هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ (الحج ، الآية ٧٨،

إنها الأمة الوسط التي تشهد على الناس جميعاً، فتقيم بينهم العدل والقسط، وتضع لهم الموازين والقيم، فتبدي فيهم رأيها، فيكون هو الرأي المعتمد، وتزن قيمهم وتصوراتهم وشعاراتهم، فتفصل في أمرها، فتقول هذا حق منها وهذا باطل، لا التي تتلقى من الناس تصوراتها وقيمها وموازينها، وهي شهيدة على الناس، وفي مقام الحكم العدل بينهم، وبينما هي تشهد على الناس هكذا، فإن الرسول هو الذي يشهد عليها، فيقرر لها موازينها وقيمها، ويحكم على أعمالها وتقاليدها، ويزن ما يصدر عنها، ويقول فيها الكلمة الأخيرة. وبذلك تتحدّد حقيقة هذه الأمة ووظيفتها لتعرفها، ولتشعر بضخامتها، ولتقدر دورها حق قدرها، وتستعد له استعداداً لائقاً، وإنها للأمة الوسط بكل معاني الوسط، سواء من الوساطة بمعنى الحسن والفضل، أو من الوسط بمعنى الاعتدال والقصد، أو من الوسط بمعناه المادي الحسي.

لقد جعل الله الإسلام ديناً وسطاً وأمر المسلمين أن يكونوا خياراً عدولاً، فهم خيار الأمم والوسط في الأمور كلها، بلا إفراط، ولا تفريط، في شأن الدين والدنيا، وبلا غلو في دينهم، ولا تقصير منهم في واجباتهم، فهم ليسوا بالماديين، ولا بالروحانيين، وإنما جمعوا حق الجسد وحق الروح، تمشياً مع الفطرة الإنسانية القائمة على أن الإنسان جسد وروح.

ومن غايات هذه الوسطية وثمرتها : أن يكون المسلمون شهداء على الأمم السابقة يوم القيامة، فهم يشهدون أن رسلهم بلّغتهم دعوة الله، ففرط الماديون في جنب الله واخلدوا إلى الملذات، وحرم الروحانيون أنفسهم من التمتع بحلال الطيبات، فوقعوا في الحرام، وخرجوا عن جادة الاعتدال، وجنوا على متطلبات الجسد.

والحاصل أن الشهادة على الأمم ميزانُها وسببُها وسطية الإسلام، ويؤكدها شهادة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على أمته بأنه يزكيهم ويُعلم بعدالتهم.

ومن شروط الشهادة في الأمور التي تتعلق بأحوال الناس ومعاشهم وحياتهم العامة : الصدق، والنزاهة، والاستقامة، إلى المعرفة والإحاطة بالظروف والحيثيات والمعطيات كافة. فالعلم مع هذه السجايا الحميدة، من مقوّمات الشهادة، وهذا الشرط لا يتوافر كاملاً مستوفي الأركان، إلا عند المؤمن حقاً بالدين الوسط، والذي ينتمي فعلاً إلى الأمة الوسط.

ولعلنا بهذا الربط بين (وسطية الإسلام)، وبين (خيرية الأمة الإسلامية)، نصل إلى إدراك المفهوم العميق لهذا المبدأ السامي من مبادئ الإسلام. وهو مبدأ لم تكن تعرفه الأديان السماوية السابقة على الإسلام، وذلك مما يتطابق تطابقاً تاماً مع الدين الخاتم والرسالة الخاتمة.

ولا ينبغي أن يتبادر إلى الذهن على أي نحو من الأنحاء أن الوسطية تعني مستوى من مستويات التوفيق بين قواعد ومبادئ وقيم ومثل نزولاً على مقتضى من المقتضيات، أو أنها ضرب من (التقريب) بين ما تباين واختلف من التشريعات والأحكام. فهذا الفهم للوسطية يجافي حقيقتها ويتعارض مع خصوصيتها.

وجملة القول أن الوسطية هي تحقيق لمبدأ التوازن الذي تقوم عليه سنة الله في خلقه. يقول تعالى : }إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ {القمر ، الآية ٤٩، أي بمقدار وميزان، ووفق نظام رباني ومشيئة إلهية، ولحكمة أرادها الله تعالى. ويقول الله تعالى : (وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً) الفرقان ، الآية(١) أي وفق تقدير مسبق وثوابت وسنن لا تبديل لها. وهذا التوازن الذي يعني في الوقت نفسه الاعتدال، والتكافؤ بين العناصر والمقومات والمكونات جميعاً والتكامل فيما بينها، هو القاعدة الثابتة للوسطية، وهو الخاصية الجوهرية التي تتميز بها، فإذا انتفى هذا التوازن، فقدت الوسطية عنصرها الأساس، لأنها في هذه الحالة تميل مع الأهواء، فتصبح تفريطاً أو إفراطاً، وهما بابان من أبواب التطرف في أحد الاتجاهين الإيجابي أو السلبي، وإن كان لا خير في التطرف من حيث هو، وإن حسنت النوايا، لأنه شر كله وعاقبته وخيمة في جميع الأحوال.

ولقد وضع الخالق تعالى الميزان لهذا الكون، ما نعلمه منه وما نجهل، لتنظيم الحياة وفق نظام رباني يجمع بين الانسجام والتناغم وبين الاعتدال والتوازن، وهو ما يؤكد أن الوسطية أصل النظام الكوني، وأنها عنصر من عناصر الخلق. وكما ينطبق هذا النظام الرباني على الحياة والكون، ينطبق أيضاً على الإنسان بدرجة أولى، بحيث إن المنهج الذي يصلح للإنسان هو المنهج الوسطي، وهو ما جاءت به الرسالة الإسلامية الخاتمة التي اشتملت على القواعد والأصول وكليات الأحكام.

فالوسطية هي المنهج الرباني، والنظام الكوني الإلهي، وسنة الله في خلقه، وهي تنسجم مع الفطرة الإنسانية، ولذلك فالخير كله في الوسطية التي جاء بها الإسلام للأمة الإسلامية وللإنسانية جمعاء، في كل زمان ومكان. وقد بلغت الوسطية الإسلامية وتبلغ هذا المقام في حضارتنا، لأنها بنفيها الغلو الظالم والتطرف الباطل، إنما تمثل الفطرة الإنسانية الطبيعية في براءتها، وفي بساطتها، وبداهتها، وعمقها، وصدق تعبيرها عن فطرة الله التي فطر الناس عليها، إنها صبغة الله

مقياس لأداء الأمة الإسلامية

اما فضيلة الشيخ أحمد الخطيب فيقول: "أمة الوسط" مصطلح قرآني ووصف رباني اقترن بالأمة الإسلامية فكانت خير أمة أخرجت للناس. "أمة الوسط" صفة قرآنية جليلة أسبغها الله سبحانه على عباده المؤمنين برسالة الإسلام العظيم، والعاملين لتبليغها. "أمة الوسط" مقياس شرعي دقيق يُقاس به أداء الأمة الإسلامية في كل مكان وزمان فتدرك به مستوى أدائها، وهل هو في حالة مُرضية أم في حالة فرَضية؟؟.فأمة الوسط إذاً هو ذلك المقياس الشرعي الدقيق، وتلك الصفة القرآنية الجليلة، وذلك المصطلح القرآني الهام، ولكنه لم يعد في هذا الزمان يحظى بتلك الأهمية في حياة الناس، إذ اختلط أمره على الكثيرين، بل وأفسد معناه الكثيرون، فأخرج البعض مضامينه الحقيقية منه، وأدخلوا إليه مضامين جديدة لا تخضع للشرع وإنما تخضع لحكم العقل، ومقاييس الهوى.

لقد فسّره البعض تفسيرات حديثة مسايرة للواقع، فقالوا أن الوسط هو ما بين التطرف والاعتدال، وقالوا أن للوسط معنى جغرافي يتعلق بالموقع والمناخ والتضاريس، وأقام البعض الآخر حزبا متوسطاً أسموه بحزب الوسط بحيث يتوسط بين العلمانية والتدين، وهكذا

وسطية الإسلام تلزم الأمة بمقاومة التطرف في الدين ورد الغلاة إلى منهج الاعتدال والحكمة

الإسلام دين وسط قابل لكل جديد في سبيل الرقي والتقدم ويرفض الجمود والتعصب والعنف والهدم

اختار الله الأمة الإسلامية لتكون شاهدة على العالمين لأنها أمة الوسط لا تميل إلى التفريط ولا إلى الإفراط

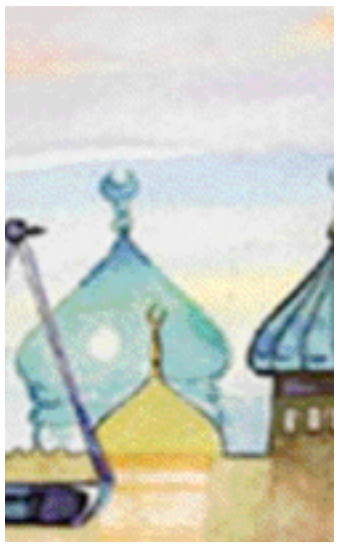

بين الإسلام والإرهاب

من المعروف للجميع أن الإسلام يعتبر الإرهاب من أكبر الجرائم والفواحش ، ويعده من جرائم الحرابة والفساد في الأرض التي أغلظ لها الإسلام العقوبة. ويأتي هذا الموقف الصارم وهذه العقوبة الاستثنائية تعظيما لحرمة النفس البشرية ، وتحصينا للرعية من الترويع وقذف الرعب والعدوان الظالم . كما عمل الإسلام على التصدي لجذور الإرهاب واستئصاله في مكامنه المحتملة سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية.

وانطلاقا من هذه المواقف الإسلامية المبدئية الواضحة كانت منظمة المؤتمر الإسلامي دائماً مرهفة الحسّ لقضايا الإرهاب ، وسبّاقة لحشد الطاقات والجهود لمناهضة الإرهاب . وقد بادرت المنظمة إلى عقد ندوة دولية في جنيف في يونيو ١٩٨٧ تحت مسمى "الندوة الدولية بشأن ظاهرة الإرهاب في العالم المعاصر ، وآثارها على الأمن الفردي ، والاستقرار السياسي والسلم الدولي". كما أصدرت المنظمة في ديسمبر عام ١٩٩٤ مدونة سلوك لمناهضة الأعمال الإرهابية تلتزم بها الدول الأعضاء ، وتوجت جهدها في هذا الصدد في يوليو ١٩٩٩ بوضع معاهدة لمكافحة الإرهاب تسري مقتضياتها بين دولها السبع والخمسين . وقد تضمنت هذه المعاهدة اثنتين وأربعين مادّة تناولت مواضيع عديدة ، منها وضع تعريف للإرهاب ، وتدابير لمنع الجرائم الإرهابية ، ومكافحتها ، وتحديد مجالات التعاون والتنسيق الأمنية المختلفة بين الدول الأعضاء ، وشؤون تسليم المجرمين ، وإجراءات حماية الشهود والخبراء وغير ذلك من التفاصيل الدقيقة .

وقد أكدت هذه المعاهدة – مع شمولها – ضرورة التزام الدول الموقعة عليها بمضامين اثنتي عشر معاهدة دولية أخرى تخص مناهضة النشطة الإرهابية ، وهي جملة المعاهدات التي أقرتها المجموعة الدولية لهذا الغرض ما بين عامي ١٩٦٣ – ١٩٩٩ ، ودخلت هذه الاتفاقية الإسلامية حيّز التنفيذ اعتبارا من نوفمبر ٢٠٠٢ بعد أن صادق عليها العدد المطلوب من الدول الأعضاء في المنظمة.

مع كل ما أشرت إليه من مناهضة الإسلام للإرهاب وتخصيص أقصى العقوبات لمكافحته ، وحرص السياسة المسلمين على اتخاذ المبادرات الجماعية السياقة لمحاربة الإرهاب بكل صورة وأشكاله ، فقد استغلّ البعض الأعمال الإرهابية التي يقوم بها نفر قليل جداً من المتعصبين من أتباع الديانة الإسلامية ، والذين لهم أجندتهم الخاصة ، ليحمّلوا العالم الإسلامي كله بمئات ملايينه جريرة أولئك النّفر الضال الذي يقترفون ممارسات إرهابية . وفي هذا خلط مقصود مرفوض ، إذا لا يعقل أن ينسب كل عمل أو ممارسة يقوم بها شخص ما إلى تعاليم دينه ، حتى ولو اتخذ من دينه ذريعة لذلك .

ونتيجة لما سبق ، أصبحت ظاهرة كراهية الإسلام اليوم ظاهرة مقلقة سائدة في عدد من المجتمعات ، وتُفرد لها منظمة الأمم المتحدة اجتماعات خاصة . وصار كثير من المسلمين يعيشون ظروفاً حياتية لا تطاق ، حيث أصبحوا

التوبة..أصل السعادة

التوبة بتمام معناها الوارد في القرآن من التعاليم الحقيقية المختصة بهذا الكتاب السماوي ، فإن التوبة بمعنى الإيمان عن كفر وشرك ، وإن كانت دائرة في سائر الأديان الإلهية ، كدين موسى وعيسى (عليهما السلام) لكن لا من جهة تحليل حقيقة التوبة وتسريتها إلى الإيمان ، بل باسم أن ذلك إيمان .

حتى أنه يلوح من الأصول التي بنوا عليها الديانة المسيحية المستقلة عدم نفع التوبة ، واستحالة أن يستفيد منها الإنسان كما يظهر مما أوردوه في توجيه الصلب والفداء ، وقد تقدّم نقله في الكلام على خلقة المسيح في الجزء الثالث من هذا الكتاب .

هذا وقد انجرّ أمر الكنيسة بعد إلى الإفراط في أمر التوبة إلى حيث كانت تبيع أوراقٍ المغفرة وتتجر بها ، وكان أولياء الدين يغفرون ذنوب العاصين فيما اعترفوا به عندهم ، لكن القرآن حلّل حال الإنسان بحسب وقوع الدعوة عليه وتعلق الهداية به .

فوجده بالنظر إلى الكمال والكرامة والسعادة الواجبة له في حياته الأخروية عند الله سبحانه ، التي لا غنى له عنها في سيره الاختياري إلى ربه ، فقيراً كل الفقر في ذاته ، صفر الكف بحسب نفسه .

قال تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ واللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ)) فاطر : ١٥

وقال تعالى (وَلا يَمْلِكُونَ لأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَلا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلا حَيَاةً وَلا نُشُورًا) الفرقان : ٣ .

فهو واقع في مهبط الشقاء ومنحط البعد ومنعزل المسكنة ، كما يشير إليه قوله تعالى (لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ × ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ) التين : ٥ .

وقوله تعالى : (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا × ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا) مريم : ٧٢ ، وقوله تعالى : (فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى) طه : ١١٧ .

وإذا كان كذلك فوروده منزلة الكرامة واستقراره في مستقر السعادة يتوقف على انصرافه عما هو فيه من مهبط الشقاء ومنحط البعد ، وانقلاعه عنه برجوعه إلى ربه وهو توبته إليه في أصل السعادة .

وهو الإيمان وفي كل سعادة فرعية وهي كل عمل صالح أعني التوبة والرجوع عن أصل الشقاء ، وهو الشرك بالله سبحانه ، وعن فروعات الشقاء وهي سيئات الأعمال بعد الشرك .

فالتوبة – بمعنى الرجوع إلى الله ، والانخلاع عن ألواث البعد والشقاء – يتوقف عليها الاستقرار في دار الكرامة بالإيمان والتدثر بأقسام نعم الطاعات والقربات ، وبعبارة أخرى يتوقف القرب من الله ودار كرامته على التوبة من الشرك ومن كل معصية .

فقال تعالى) وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) النور : ٣١ .

فالتوبة بمعنى الرجوع إلى الله تعمّ التوبتين جميعاً ، بل تعمُّهما وغيرهما على ما سيأتي إن شاء الله .

ثم إن الإنسان لما كان فقيراً في نفسه لا يملك لنفسه خيراً ولا سعادة قط إلا بربه ، كان محتاجاً في هذا الرجوع أيضاً إلى عناية من ربه بأمره ، وإعانة منه له في شأنه .

فيحتاج رجوعه إلى ربه بالعبودية والمسكنة إلى رجوع من ربه إليه بالتوفيق والإعانة ، وهو توبة الله سبحانه لعبده المتقدمة على توبة العبد إلى ربه كما قال تعالى (ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا) التوبة : ١١٨ .

وكذلك الرجوع إلى الله سبحانه يحتاج إلى قبوله بمغفرة الذنوب وتطهيره من القذارات والوث البعد ، وهذه هي التوبة الثانية من الله سبحانه المتأخرة عن توبة العبد إلى ربه ، كما قال تعالى : (فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ) النساء. ١٧

وإذا تأملت حق التأمل وجدت أن التعدد في توبة الله سبحانه إنما عرض لها من حيث قياسها إلى توبة العبد ، وإلا فهي توبة واحدة هي رجوع الله سبحانه إلى عبده بالرحمة .

ويكون ذلك عند توبة العبد رجوعاً إليه قبلها وبعدها ، وربما كان مع عدم توبة من العبد ، كما تقدم استفادة ذلك من قوله : (وَلا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ) النساء : ١٨ .

وأن قبول الشفاعة في حق العبد المذنب يوم القيامة من مصاديق التوبة ، ومن هذا الباب قوله تعالى : (واللهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيمًا) النساء : ٢٧ .

وكذلك القرب والبعد لما كانا نسبيين أمكن أن يتحقق البعد في مقام القرب بنسبة بعض مواقفه ومراحله إلى بعض ، ويصدق حينئذ معنى التوبة على رجوع بعض المقربين من عباد الله الصالحين من موقفه الذي هو فيه إلى موقف أرفع منه وأقرب إلى ربه ، كما يشهد به ما يحكيه تعالى من توبة الأنبياء ، وهم معصومون بنص كلامه ، كقوله تعالى : (فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ) البقرة : ٣٧ .

وقوله تعالى : (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ) إِلَى ق